

من صحابة الرسول

المجموعة الثانية

١٠

جَابِرُ بْنُ
عَبْدِ اللَّهِ

فانيس محمد عزت

جابر بن عبد الله

استيقظ عثمان من النوم نَشِطًا ، فالיום هو يوم
الجمعة حيث الصلاة في المسجد جماعة ، والاستمتاع
بسماع خطبة الجمعة ؛ فلها قيمة عظيمة ، تنفع
المسلمين وتناقش أمور دينهم ، وتنفعهم في حاضرهم ،
وترشدهم إلى خير مستقبلهم .

اغْتَسَلَ عُثْمَانُ ، فَاغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ سَنَةً عَنْ
النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَقْتَدِيَ
بِسُنَّتِهِ .

فَلَيْسَ أَحْسَنَ ثِيَابِهِ وَاسْتَعَدَّ لِلْخُرُوجِ . وَهُوَ وَالِدُ
عُثْمَانَ لِنَظَافَةِ عُثْمَانَ وَحُسْنِ هُنْدَامِهِ ، وَقَالَ لَهُ :
- مَا شَاءَ اللَّهُ يَا عُثْمَانُ . هَلْ سَرَكَبُ مَعِيَ السَّيَّارَةَ
فِي الذَّهَابِ إِلَى الْمَسْجِدِ ؟

أجابهُ عُثْمَانُ مُعْتَذِرًا : لا ، بل سأذهبُ إلى المَسْجِدِ
 ماشيًا ، فقد قالَ الرَّسُولُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
 « مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ ، ثُمَّ مَضَى إِلَى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ
 لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ ، كَانَتْ خُطْوَاتُهُ الْوَاحِدَةُ
 تَحُطُّ خَطِيئَةً ، وَالْأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً » .

قَالَ وَاللَّهِ : إِذَا لَمْ يَذْهَبْ سِرًّا عَلَى الْأَقْدَامِ مَعًا .

وَفِي الطَّرِيقِ إِلَى الْمَسْجِدِ قَالَ وَاللَّهِ عُثْمَانُ :

- ذَكَرْتَنِي يَا عُثْمَانُ بِجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، أَحَدِ صَحَابَةِ
 الرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَوْمَ غَزْوَةِ الرُّومِ
 عِنْدَمَا رَفَضَ أَنْ يَرْكَبَ دَابَّتَهُ ، وَفَضَّلَ أَنْ يَسِيرَ عَلَى
 قَدَمَيْهِ لِقَوْلِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ اغْتَبَرَتْ
 قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ » .

قَالَ عُثْمَانُ : هَلْ لَكَ أَنْ تَحْكِيَ لِي قِصَّتَهُ يَا أَبِی ،

كَمَا عَوَّدْتَنِي أَنْ تَقْصَّ عَلَيَّ قِصَصَ بَعْضِ الصَّحَابَةِ ؟

أومأ والدته بالإيجاب ، وقال :

— سأفعلُ إن شاء الله .

وبعد صلاة الجمعة ، ورجوعهما إلى البيت ، جلس عثمانُ أمامَ والده ، يسمعُ إلى سيرة جابر بن عبد الله .
قال والده : نشأ جابر بن عبد الله في المدينة ، وكان في المدينة آنذاك مصعب بن عمير ، سفيراً للنبي محمد — صلى الله عليه وسلم — يدعو الناس إلى الإسلام ، ويعلمهم مبادئه ، ويفقههم في تعاليمه .
ونجح مصعب في المهمة التي وكلت إليه ، فأسلم على يده كثير من أهل المدينة ، وكانوا جميعاً يتلهفون لليوم الذي يلقون فيه الرسول — صلى الله عليه وسلم — فيعلنون إسلامهم بين يديه .

* * *

خَرَجَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ - الْأَنْصَارُ فِيمَا بَعْدَ - فِي رَكْبٍ جَلِيلٍ ، وَمَارُوا صَوْبَ مَكَّةَ ، وَكَانَ ضِمْنَ هَذَا الرُّكْبِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو الْخَزْرَجِيُّ ، وَقَدْ اصْطَحَبَ مَعَهُ ابْنَهُ جَابِرٌ - وَكَانَ لَمْ يَبْلُغِ الْحُلُمَ بَعْدَ - وَكَانَ لَجَابِرٍ تِسْعُ أَخَوَاتٍ مِنَ الْبَنَاتِ ، فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو الْخَزْرَجِيِّ وَلَدٌ ذَكَرٌ غَيْرُ جَابِرٍ .

وَمَا إِنْ رَأَى جَابِرُ الرَّسُولَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَتَّى بُهَرَ بِإِشْرَاقِ وَجْهِهِ ، وَسَمَاحَتِهِ وَصِدْقِهِ وَحُسْنِ خُلُقِهِ ، فَسَرَى فِي وَجْدَانِهِ نَوْرُ الْإِيمَانِ بِهِ ، وَاسْتَقَرَّ فِي قَلْبِهِ حُبُّهُ ، حَتَّى أَصْبَحَتْ صُورَتُهُ لَا تُفَارِقُ خَيَالَهُ أَبَدًا .

* * *

وَعِنْدَمَا هَاجَرَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى الْمَدِينَةِ ، لَزِمَهُ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، فَتَعَلَّمَ مِنْهُ الْكَثِيرُ ، وَقَدْ كَانَ مِنْ أَنْجَبِ مَنْ حَفِظُوا الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ ، وَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ . وَكَانَ كَذَلِكَ

من أكثر الصحابة حفظاً للحديث ، حتى إنه روى وحده ، ألفاً وخمسمائة وأربعين حديثاً ، حفظها عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ورواها للمسلمين من بعده .

وقد مد الله في عمر جابر ، حتى نيف على المائة عام ، قضاها كلها في العلم والعبادة والجهاد في سبيل الله ، والحرص على فعل كل ما يقربه من الجنة ، ويبعده عن النار . قال عثمان : لقد صدق عليه المثل الذي يقول : العلم في الصغر ، كالنقش على الحجر . فقد تفتح قلبه للإسلام منذ نعومة أظفاره ، فكان كالصفحة البيضاء التي خط عليها الإسلام نور العلم والمعرفة ، ليكون مصدراً إشعاعاً لأجيال كثيرة من بعده .

قال والده : ولم يشترك جابر في غزواتي بدر وأحد لصغر سنه ، وقد منعه عن الاشتراك فيهما سبب آخر ،

هو أن أباه كان قد أمره أن يبقى مع أخواته البنات
التسع ، فلم يكن لهن أحد سواه ، يقوم على أمرهن .
ولما كانت ليلة غزوة أحد ، دعاه أبوه الشيخ عبد
الله بن عمرو الخزرجي ، وقال له : إني لأراني مقتولاً
مع أول من يقتل من أصحاب الرسول - صلى الله عليه
وسلم - وإني والله ما أدع أحداً أعز علي منك بعد
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وإن علي ديناً
فاقض ديني ، وارحم أخواتك ، واستوص بهن خيراً .
وصدق ما توقع عبد الله والذ جابر ، فقد كان أول شهداء
غزوة أحد ، وحين بكاه جابر قال - صلى الله عليه وسلم -
« ابنكوه - أولاً تكوه ، فإن الملائكة لتظله بأجنحتها » .
ولقي الرسول - صلى الله عليه وسلم - جابراً يوماً
فسأله : يا جابر ، ما لي أراك منكسراً مهتماً ؟

فأخبره جابر أن والدته ترك وراءه عيالاً كثيرين ،
ودنياً يصعب عليه قضاؤه .

فسرى عنه الرسول — صلى الله عليه وسلم — ،
وقال : إن الله أحيا أباك وكلمه كفاحاً — أى مواجهة ،
وما كلم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب ، فقال له :
يا عبدي ، سئلى أعطك . فرد عليه قال : يا رب أسألك
أن تردنى إلى الدنيا ، لأقتل فى سبيلك مرة ثانية . فقال
له : « إنه قد سبق القول منى ، أنهم إليها لا يرجعون » .
فقال : « يا رب ، ابلغ من ورانى بما أعطيت من نعمة » .
فأنزل الله تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل
الله أمواتا ، بل أحياء عند ربهم يُرزقون ، فرحين بما
آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم
من خلقهم إلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ .

ابْتَسَمَ إِسْمَاعِيلُ وَقَالَ : يَا لَهْ مِنْ فَضْلِ عَظِيمٍ لَجَابِرِ
 وَأَبِيهِ ، أَنْ يُنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمَا قُرْآنًا ، فَهَيَّا لَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ
 عَمْرٍو الْخَزْرَجِيُّ بِالْجَنَّةِ . وَيَا لَهَا مِنْ بُشْرَى لَجَابِرِ بْنِ عَبْدِ
 اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ لَنْ يُضَيِّعَهُ هُوَ وَأَخَوَاتِهِ التَّسْعَ مِنْ بَعْدِ وَالِدِهِ .
 قَالَ أَبُوهُ : هَذَا صَحِيحٌ يَا وَلَدِي ، فَقَدْ سَرَتْ كَلِمَاتُ
 الرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَالآيَاتُ الْمُبَارَكَاتُ
 مَسْرُورِي السَّحَرِ فِي جَابِرٍ ، فَازَاحَتْ عَنْهُ الِهِمُّ وَالْكَرْبُ .
 وَصَحْبَةُ الرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى يَلَدِ
 التَّمْرِ ، حَيْثُ جَمَعَ جَابِرٌ تَمْرَهُ - وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَذْغُوَ
 الدَّائِنِينَ ، وَبِرَكَّةٍ بِسْمِ اللَّهِ ، وَبِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى ، دَفَعَ -
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَهُمْ دَيْنَهُمْ مِنْ تَمْرِ تِلْكَ السَّنَةِ ، حَتَّى
 وَفَى الدَّيْنَ كُلَّهُ . وَلَشِدَّةٌ عَجَبٍ جَابِرٌ ، أَنَّهُ نَظَرَ إِلَى الْيَدِ
 فَوَجَدَهُ مَمْلُوءًا كَمَا كَانَ ، كَأَنَّمَا لَمْ تَقْصُ مِنْهُ تَمْرَةٌ وَاحِدَةٌ .
 قَالَ إِسْمَاعِيلُ مُتَعَجِّبًا : أَحَقُّ هَذَا يَا أَبِي ؟

قال والده : ولم العجب يا إسماعيل ؟ ألم تنزل الآيات ﴿ أَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ؟ إنها البركة يا ولدي . ولعلبك فقد حدث موقفٌ مُشابهٌ لهذا يوم غزوة الخندق .

قال إسماعيل متعجلاً والده : ما الذى حدث يوم الخندق يا أبى ؟ قص على ...

قال والده : تعلم يا إسماعيل بالطبع ، قصة حفر الخندق ، وما عاناة المسلمون فى أثناء حفره من تعب وجوع . ورغم ذلك كانوا يؤدون عملهم راضين مُستبشرين بنصر الله . ورأى جابر الرسول - صلى الله عليه وسلم - يعمل معهم ويحمل الحجارة ، وقد ربط حَجَرًا على بطنه من شدة الجوع ، فقد مضى عليهم ثلاثة أيام لم يذوقوا خلالها شيئاً من الطعام . فاستأذن جابر لبعض الوقت ، وعندما بلغ بيته قال لزوجته :

رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ مَرَارَةِ
 الْجُوعِ مَا لَا يَصْبِرُ عَلَيْهِ أَحَدٌ ، فَهَلْ عَذَابٌ مِنْ شَيْءٍ ؟
 قَالَتْ : عَذَى قَلِيلٌ مِنَ الشَّعِيرِ ، وَشَاةٌ صَغِيرَةٌ .
 فَدَبَّحَ جَابِرُ الشَّاةَ ، وَطَحَنَ الشَّعِيرَ ، وَعِنْدَمَا بَدَأَ
 الطَّعَامُ يَنْصَجُ ، ذَهَبَ لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ - وَقَالَ : طُعِمْتُمْ صُعْدَةً لَكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، فَقُمْ أَنْتَ
 وَرَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ مَعَكَ .

فَقَالَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : كَمْ هُوَ ؟
 فَلَمَّا عَلِمَ بِمِقْدَارِ الطَّعَامِ ، قَالَ : يَا أَهْلَ الْخُدُقِ ، إِنَّ
 جَابِرًا صَنَعَ لَكُمْ طَعَامًا فَهَلُمُّوا إِلَيْهِ .
 وَقَالَ جَابِرٌ : اإْمْضِ إِلَى زَوْجَتِكَ وَقُلْ لَهَا : لَا تُزِلِّي
 قِدْرَكَ عَنِ النَّارِ ، وَلَا تَخْبِزِي عَجِينَكَ حَتَّى أَجِيءَ .
 وَاهْتَمَّ جَابِرٌ بِأَنَّهُ مَا عَادَهُ مِنَ الطَّعَامِ ، لَا يَكْفِي سِوَى
 بَصْعَةِ أَشْحَاصٍ ، فَمَا بِأَنَّكَ يَا أَهْلَ الْخُدُقِ جَمِيعًا ؟

قال إسماعيل : حَقًّا إِنَّهُ مَوْقِفٌ خَرَجَ .

قال والدُّهُ : لَا خَرَجَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، فَكَمَا حَلَّتِ
الْبَرَكَةُ فِي التَّمْرِ ، وَقَضَى بِهِ الرَّسُولُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ - دَيْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، كَذَلِكَ حَلَّتِ الْبَرَكَةُ بِطَعَامِ
جَابِرٍ ، فَغَرَفَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَطْعَمَ أَهْلَ
الْخَنْدَقِ جَمِيعًا حَتَّى شَبِعُوا ، وَمَا زَالَتِ الْقِدْرُ مَمْلُوءَةً
كَمَا هِيَ ، وَمَا زَالَ الْعَجِينُ يُخْبَزُ كَمَا هُوَ .

ثُمَّ قَالَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِرُؤُوسَةِ جَابِرٍ : كُلِّي
وَأَهْدِي .

فَأَكَلَتْ وَجَعَلَتْ تُهْدِي طَوَالَ ذَلِكَ الْيَوْمِ .

قال إسماعيل : لَا بُدَّ أَنْ مَالَهُ كَانَ خَلَالًا فَبَارَكَ اللَّهُ فِيهِ .

قال والدُّهُ : وَهَلْ فِي ذَلِكَ شَكٌّ ؟ إِنْ صَحَابَةُ الرَّسُولِ
- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذَا مَا شَكُّوا فِي وُجُودِ جُزْءٍ
وَاحِدٍ حَرَامٍ فِي مَالِهِمْ أَوْ فِي طَعَامِهِمْ ، وَتَسْعَةً وَتَسْعِينَ

جزءاً حلال ، تركوا مآلهم أو طعامهم كله خوفاً من
الجزء الحرام .

* * *

ونعود إلى جهاد جابر ، لئرى أنه لم تفت غزوة واحدة
منذ وفاة والده ، فاشرك في غزوات بني قريظة وبني
المصطلق ، وشهد صلح الحديبية ، وبايع الرسول -
صلى الله عليه وسلم - تحت الشجرة في بيعة الرضوان ،
واشرك في فتح خيبر .

وفي العام السابع للهجرة ، اشرك في غزوة ذات
الرقاع ، وهي الغزوة التي أدمت قدمي الرسول - صلى
الله عليه وسلم - وأصحابه من طول المسافة وكثرة
المشي ، فربطوا أقدامهم بقطع من القماش ، وحين
وصلوا إلى منطقة بها أشجار ، جلس كل منهم تحت
شجرة ليسريح ، فجاء رجل من المشركين فاخترط -

اِخْتَطَفَ - سَيْفَ الرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ،
فَقَالَ : أَخَافُنِي يَا مُحَمَّدٌ ؟ قَالَ : لَا . فَقَالَ الرَّجُلُ :
فَمَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟

قَالَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : اللَّهُ .
فَمَكَثَ الرَّجُلُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَحَرَّكَ مِنْ مَكَانِهِ .
وَعَفَا عَنْهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
ابْتَسَمَ إِسْمَاعِيلُ سُورُوا ، فَقَالَ وَالِدُهُ : إِنَّهَا الثَّقَةُ بِاللَّهِ
يَا وَلَدِي .

وَأَشْرَكَ جَابِرٌ بَعْدَ وَفَاةِ الرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ - فِي خُرُوبِ الرُّدَّةِ ، كَمَا خَرَجَ غَازِيًا إِلَى بِلَادِ
الرُّومِ تَحْتَ قِيَادَةِ مَالِكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْخَثْعَمِيِّ .
وَعِنْدَمَا رَأَاهُ مَالِكٌ مَاشِيًا وَمَعَهُ بَغْلٌ يُمْسِكُ بِرَمَامِهِ
وَيَقُودُهُ ، قَالَ لَهُ : لِمَ لَا تَرْكَبُ يَا جَابِرُ ، وَقَدْ يَسَّرَ اللَّهُ
لَكَ ظَهْرًا يَحْمِلُكَ ؟

قال جابر : يَمْنَعُنِي قَوْلُ الرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
 « من اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ » .
 وما أن سَمِعَ الْجَيْشُ قَوْلَ جَابِرٍ ، إِلَّا وَنَزَلَ الْجَمِيعُ
 عَنْ دَوَابِّهِمْ ، كُلٌّ مِنْهُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفُوزَ بِهَذَا الْأَجْرِ . فَمَا
 رَنَى جَيْشٌ أَكْثَرَ مُشَاةً مِنْ ذَلِكَ الْجَيْشِ .

* * *

وكما قلت لك يا إسماعيل ، فإن جابراً توفى وقد
 نَفى عَلَى الْمِائَةِ سَنَةٍ ، قضاها كُلُّهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ .
 قال إسماعيل : شُكْرًا لَكَ يَا أُمِّي عَلَى قِصَّتِكَ ، فَهِيَ
 جَدُّ شَائِقَةٍ ، وَمَلِيَّةٌ بِالْعِظَاتِ وَالْعَبَرِ . وَإِنَّ سِيرَةَ
 أَصْحَابِ الرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَا يُشْبَعُ
 مِنْهَا أَبَدًا .

قال والدُّهُ : صَدَقَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حِينَ
 قَالَ : « أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ ، بَأْيَهُمْ اقْتَدَيْتُمْ اهْتَدَيْتُمْ » .